مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٩) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (9) 2026

المقامةُ البغداديةُ في ضوءِ البنيويةِ

*د. مهاب كامل خضور

(تاريخ الإيداع ١٢/٢١ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ٥/٤ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

يتناول البحث "المقامة البغدادية" من منظور بنيوي؛ لذا فقد حللنا نصَّ المقامة بدءاً من المتن الحكائي وصولاً إلى البنية اللغوية والشخصيات والزمان والمكان. وفي جزء المتن الحكائي ناقشنا سرديات عدّة تبرز المضمون الفكاهي والاجتماعي والتراجيكوميدي لشخصيات المقامة، مما يعكس الواقع الثقافي والاجتماعي لمدينة بغداد آنذاك. ودرسنا في المبنى الحكائي عناصر البنية النصيّة، فركَّزنا على بنية اللغة، وحللنا بنية التركيب الجملي، ثمَّ ناقشنا بنية الشخصية بتقسيمها إلى شخصيات رئيسة وثانوية، ودرسنا الزمن بوصفه عنصراً أساسياً في تشكيل السَّرد، إذ أسهم بنوعيه الداخلي والخارجي في توازن الأحداث وتشويق القارئ. أمّا بالنسبة إلى بنية المكان، فدرسنا تأثير المكان في السرد، وأنواع الأماكن ودلالاتها. آملين تقديم رؤية شاملة تُسعف القارئ على فهم المقامة البغدادية.

الكلمات المفتاحية: المقامة البغدادية، البنيوية، البنية السردية، مقامات بديع الزمان الهمذاني.

* حاصل على درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، سوريا.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٩) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (9) 2026

The Baghdadi Maqama in Light of Structuralism

***Dr. Mohab Kamel Khadoor**

(Received 21/12 /2025. 4 /5/2026)

□ ABSTRACT□

This research examines "Al-Maqama Al-Baghdadia" from a structuralist perspective. Accordingly, we have analyzed the text of the Maqama starting from the narrative core, moving through the linguistic structure, characters, time, and space. In the section concerning the narrative core, we discussed several narratives that highlight the humorous, social, and tragicomic content of the Maqama's characters, reflecting the cultural and social reality of Baghdad at that time.

In our study of the narrative structure, we focused on textual elements, specifically analyzing the syntactic structure. We then discussed the structure of characters, categorizing them into primary and secondary figures. Additionally, we addressed the study of time as a fundamental element in the formation of the narrative, as both its internal and external types contribute to the balance of events and reader engagement. Regarding the structure of space, we examined the influence of location on the narrative, the types of locations, and their connotations. We hope to provide a comprehensive vision that assists the reader in understanding "Al-Maqama Al-Baghdadia."

Keywords: Al-Maqama Al-Baghdadia, Structuralism, Narrative Structure, Maqamat of Badi' al-Zaman al-Hamadhani.

* Mohab Kamel Kadoor, Holds a PhD deqree, Department of Arabic language, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Latakia, Syria.

مقدّمة:

تُعدُّ المقامة البغدادية واحدة من أبرز أشكال النثر في الأدب العربي؛ إذ تتجلى فيها براعة الكتابة السردية وتنوع الموضوعات. يمتازُ هذا النوع الأدبي بالحكمة والفكاهة، ويعكس الحياة الاجتماعية والثقافية في بغداد في العصر العباسي؛ لذا سيسعى البحث إلى تحليل المتن الحكائي والمبنى الحكائي للمقامة البغدادية؛ وذلك لتفكيك العناصر التي تشكل نسيج هذه العمل الأدبي. ويتَّسم المتن الحكائي في المقامة البغدادية بتنوع الحكايات والشخصيات التي تدبُّ فيها الحياة، مما يسمح للقراء بالانغماس في عالم من التفاعل والدراما، إذ تعدُّ الشخصيات في المقامة، مثل: "الراوي" و"السوادي" و "الشوَّاء"، رموزًا تمثِّل جوانب مختلفة من المجتمع، ويعدُّ تحليل الشخصيات من الزوايا البنيوية ضرورة لفهم الدور الذي تؤديه في تطوير الحبكة وتقديم الرسائل الأخلاقية. أما المبنى الحكائي فإنه يتجاوز تسلسل الأحداث فحسب، ليغوص في بنية اللغة المستخدمة؛ إذ تؤدِّي اللغة دورًا محوريًا في تشكيل الهُوية الثقافية للمقامة البغدادية، والأمر كذلك بالنسبة إلى البيئة الزمنية والمكانية، فإنَّ دراسة المكان والزمان في المقامة تعكس التفاعل الديناميكي بين الأحداث والمواقف، وتشير إلى السياقات الاجتماعية التي تنشأ فيها الأحداث. ويتطلب فهم المقامة البغدادية في سياق البنيوية تحليلاً دقيقاً لعناصرها، إذ يمكن عبرَ هذا التحليل استكشاف كيفية تواشج المتن والمبنى معاً؛ لإنتاج تجربة جمالية وفكرية متكاملة. آملين أن نتمكَّن من تقديم رؤية شاملة للمقامة البغدادية، تسلِّط الضوء على عمقها الفني وإرثها الأدبي.

أهميّة البحث:

-يعزز البحث من فهم النصوص التراثية عبر منهج حديث كالتحليل البنيوي.

-يسهم البحث في تطوير الدراسات الأدبية والنقدية؛ إذ يوفّر رؤية بنيوية حديثة لنصٍ أدبي قديم.

-يسعى البحث إلى إبراز قيمة المقامة البغدادية كمصدر أدبي وفني، تغني تراث أدبنا العربي.

-توضيح علاقة النص الأدبي بالبيئة الثقافية والاجتماعية، مما يساعد في فهم كيف عكست المقامة البغدادية المجتمع والبيئة التي أُبدعت فيها.

أهداف البحث:

- الكشف عن البنى النصية، والعلاقات الداخلية بين عناصر المقامة البغدادية، كالأحداث، والأساليب اللغوية، والصور البلاغية.

- تفسير الطابع الفني للمقامة عبر البنيوية؛ لفهم كيف تترابط المقامة كوحدة متماسكة، وكيف يسهم البناء الفني في توصيل المعنى للمتلقي.

- بيان خصائص المقامة البغدادية، عبر دراسة الأساليب السردية والرموز والأنماط التي تتميز بها.

-توثيق مدى تطابق المقامة مع المبادئ البنيوية الحديثة، وتوضيح كيف يمكن تطبيق النظريات البنيوية على نص المقامة، والاستفادة منها في دراسة الأدب العربي القديم.

منهجُ البحث:

سيستعين البحث بآليات المنهج الوصفي التحليلي لوصف عناصر النصّ وتحليلها بشكل منهجي، بهدف فهم العلاقات البنيوية في المقامة البغدادية فهماً شاملاً، وهذا ما يساعد في إبراز الخصائص الثقافية والاجتماعية للمجتمع البغدادي آنذاك.

كما سيفيد البحث من آليات المنهج البنيوي؛ لأنَّ هذا المنهج يعتَمد على تحليل النص بوصفه وحدةً بنائيةً، أي ينظر إلى المقامة بوصفها نسقاً متكاملاً، ويساعدنا في دراسة الأنماط والمتكررات، والأنساق السردية التي تسهم في تشكيل المعنى العام للمقامات، والتركيز على البُنى اللغوية والصورية والدلالية فيها.

المناقشة:

أولا: مفهومات نظرية:

١ــ بديع الزمان الهمذاني: هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد، بديع الزمان الهمذاني أبو الفضل، وُلِدّ في همذان، عام ٣٥٨هـ، وتُوفي عام ٣٩٨هـ، وقد أسس فن المقامات حين إقامته في نيسابور [١].

٢ــ المقامة البغدادية: تحتلُّ الترتيب الثالث ضمن سلسلة مقامات بديع الزمان الهمذاني، لكنّها تُصنَّف من أبرز إبداعاته الأدبية، وتتجلى فيها مهارته المتميزة في فن السرد والوصف، وتدور أحداثها في سوق الكرخ ببغداد؛ إذ يستعرض عيسى بن هشام قصة احتيال تتمحور حول شخصية بسيطة تدعى "السَّوادي". تتميز المقامة البغدادية بأسلوبها الفني، واستعمالها للسجع والكلمات الفريدة، وتقدِّم نقداً اجتماعياً جريئاً يتناول قضايا الفقر والبطالة وطرق الخداع في المجتمع العباسي، وتجسد نموذجين مختلفين، وتتميّز كذلك بتنوع سماتها الفنية، إذ تجمع بين النثر والشعر، وتتضمن حوارات ديناميكية بين الشخصيات، ويؤدي الحوار دوراً رئيساً فيها، ويسهم في خلق نغمة موسيقية تأسر القارئ حتى نهاية القصة، كما تمتلئ بالصيغ الفنية والبلاغة، مما يضفي جمالية وروعة على أسلوبها.

يقول الهمذاني في مقامته البغدادية:

حدّثنا عيسى بنُ هشام قال: اشتهيت الأزادَ وأنا ببغداد، وليس معي عَقدٌ على نقدْ، فخرجتُ أنتهزُ مَحَالّهُ حتّى أحلتّي الكَرْخ، فإذا أنا بسواديٍّ يسوقُ بالجُهدِ حِماره، ويُطرّفُ بالعِقْدِ إزارهْ، فقلتُ: ظفِرنا والله بصيد، وحيّاك الله أبا زيد، من أين أقبلتَ؟ وأين نزلتَ؟ ومتى وافيتَ؟ وهلمّ إلى البيت، فقال السّواديُّ: لستُ بأبي زيد، ولكنّي أبو عبيد، فقلت: نعم، لعن الله الشّيطان، وأبعد النّسيان، أنسانيكَ طولُ العهد، واتصال البُعد، فكيف حالُ أبيكْ؟ أشابٌّ كعهدي، أم شابَ بعدي؟ فقالَ: قدْ نَبِتَ الربيعُ على دِمنتهْ، وأرجو أن يُصيَّرهُ اللهُ إلى جنّته، فقلتُ: إنّا للهِ

[١] الحموي، ياقوت، معجم *الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط١، ١٩٩٣م، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، ص٢٣٤.

وإنّا إليهِ راجعون، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العليِّ العظيم، ومددتُ يدَ البدارِ، إلى الصّدارِ، أريدُ تمزيقَهُ، فقبضَ السّواديُّ على خصري بجُمْعِهِ، وقال: ناشدتُكَ اللهَ لا مزّقتَهْ، فقلتُ: هَلُمّ إلى البيتِ نُصِبْ غَداءً، أو إلى السّوقِ نشتري شِواءً، والسّوقُ أقربْ، وطَعامُهُ أطيبْ، فاستفزّتهُ حُمّةُ القَرَمْ، وعطفتْهُ عاطفَةُ اللُّقمْ، وطمِعَ، ولَمْ يَعلمْ بأنّهُ وقَعْ، ثمّ أتينا شوّاءً يتقاطرُ شواؤُهُ عرقاً، وتتسايلُ جُذاباتُهُ مرقاً، فقلتُ: افرز لأبي زيدٍ من هذا الشّواءْ، ثمّ زِنْ لهُ من تلكَ الحلواء، واختر لي من تلك الأطباقْ، وانضُدْ عليها أوراق الرُّقاق، ورُشَّ عليها شيئاً من ماءِ السُّماق، ليأكُلَهُ أبو زيدٍ هنيّئاً، فأنحنى الشّوّاءُ بساطورِهِ، على زُبدَةِ تنّورِهِ، فجعلها كالكُحْلِ سُحقاً، وكالطّحنِ دقّا، ثمّ جلسَ وجلست ولا يئِس ولا يئست، حتّى استوفيناه فقلتُ لصاحبِ الحلوى: زن لأبي زيدٍ من اللّوْزينَجِ رطلين فهو أجرى في الحُلوق، وأمْضى في العُروق، وليكُن ليليّ العُمرْ، يوميّ النّشر، رقيقُ القِشْر، كثيفُ الحشو، لؤلؤيُّ الدِّهن، كوكبيُّ اللّون، يذوبُ كالصّمغِ قبل المضغ، ليأكُلَهُ أبو زيدٍ هنيئاً، قال: فوزنهُ ثمّ قعدَ وقَعدت، وجرّد وجرّدت، حتى استوفيناه، ثمّ قلتُ: يا أبا زيد ما أحوَجَنا إلى ماءٍ يُشَعْشَعُ بالثلج، ليقمعَ هذهِ الصَّارّة، ويفثأُ عنّا هذه اللُّقم الحارّة، اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقّاءْ، يأتيك بشربة ماءْ، ثمّ خرجْتُ وجلستُ بحيثُ أراهُ ولا يراني، أنظُرُ ما يصنَع، فلمّا أبطأتُ عليه قامَ السّواديُّ إلى حمارِهِ، فاعتَلَقَ الشّوّاءُ بإزارِهِ، وقال: أين ثمنُ ما أكلْت؟ فقال أبو زيد: أكلتُهُ ضيفاً، فلكمهُ لكمةً، وثنّى عليهِ بلطمة، ثم قال الشّوّاءُ: هاكَ، ومتى دعوناكَ؟ زِن يا أخَا القُحّةِ عشرين، فجعلَ السّواديُّ يبكي ويَحِلُّ عُقَدُهُ بأسنانهِ، ويقول: كم قلتُ لذاكَ القُريدْ، أنا أبو عُبيد، وهو يقولُ: أنتَ أبو زيد، فأنشدتُ:

أعمل لرزقِكَ كلَّ آلَه ... لا تقعُدنّ بكلِّ حالة
وانهضْ بكلَّ عزيمة ... فالمرءُ يعجز لا محالة[1]

٣ـ البنيوية:

تنسب "البنية" في الثقافة العربية إلى "بنائي" و"بنيوي"، وقد استعملها العرب للدلالة على التشييد والبناء، كما استعمل علماء النحو واللغة صورًا منها تتصل ببناء الجملة وتركيبها ، وهي تعود في الثقافة الغربية[2] إلى مصطلح "البنية" المشتقة من الأصل اللاتيني "Stuere" الذي يعني البناء أو الطريقة التي يُقام بها مبنى معين . ويعود أصل الدراسات البنيوية[3] في العصر الحديث إلى العالم السويسري "دي سوسير"، الذي ميّز في نظريته بين اللغة والكلام، والدال والمدلول، والتزامن والتعاقب، وقد أسهم الشكلانيون الروس في ظهور هذه الدراسات، إذ استعمل "رومان جاكوبسون" مصطلح "البنيوية" بشكل حديث في بيان ألقاه في مؤتمر عام ١٩٢٩ [4]. ويعدُّ نظام بناء النص من المحاور الأساسية في الدراسات البنيوية، فالبنيوية في حدود تعريفها هي " مجموعة من العلاقات الثابتة بين عناصر متغيّرة" ؛ إذ تُحلل العلاقات والتفاعلات[5] بين العناصر في النص،

[1] أحمد بن الحسين، أبو الفضل، *مقامات بديع الزمان الهمذاني*، قدّم لها وشرح غوامضها: الشيخ محمد عبده، ط٢، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٧١-٧٢-٧٣-٧٤.

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ط١، ١٩٩٧م، ج ١٤، دار صادر، بيروت، ص٨٩.

[3] فضل، صلاح، *نظرية البنائية في النقد الأدبي*، ط ١، ١٩٩٨م، القاهرة، دار الشروق، ص١٢.

[4] العيد، يمنى، *في معرفة النص*، ط٣، ١٩٨٥م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص٢٧-٣٢.

[5] النحوي، عدنان، *الأسلوب والأسلوبية*، ط ١، ١٩٩٩م، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ص٤٠.

والنظام الذي يتشكل من تكرار هذه البنى بشكل عام. ويؤكّد "رولان بارت" أنَّ البنيوية في العملية الإبداعية تتوزع على ثلاثة محاور: المبدع، النص، والمتلقي، ويجب على المبدع التخلي عن سلطته عبر تبني نظرية "موت المؤلف"، مما يعني عدم العودة إلى معلومات خارج النص لتجنب التأثير في القارئ، ويعدُّ النص نسيجًا لغويًا يتكون من دلالات لغوية وعبارات، إذ يتمثل الدال في العلامات اللفظية والمدلول في الأفكار المتخيلة. أمَّا المتلقي فيحتل مركزًا مهمًا في العملية البنيوية؛ لكونه الشريك في إنتاج النص والقادر على فك شيفراته والكشف عن معاني الجمال والإبداع[١]. ويرى "ميشيل فوكو" أنَّ البنيوية تتجلى بوصفها علاقاتٍ ثابتةً بين عناصر متغيرة. ويرفض فكرة وجود بنية إدراكية شمولية خارجة عن التاريخ، مؤكِّداً أنَّ كلَّ عصرٍ يحمل أفكاره وقيمه المعرفية والثقافية الخاصة به، مما يؤدي إلى ظهور آليات جديدة لقراءة النصوص الأدبية وتأويلها. [٢] وترتكز البنيوية على اللغة الأدبية بوصفها الأساس في تشكيل الأدب، إذ تهتم بالبناء اللغوي والعلاقات الداخلية للنصوص بدلاً من الأفكار والمشاعر، وتسعى إلى إبراز الأبعاد الجمالية للغة بعيداً عن المؤثرات الخارجية كحياة المؤلف أو عصره، وتستعمل أدوات مثل النسق والتزامن، كما تقترح دراسة العمل الأدبي (شعرًا ونثرًا) عبر مستويات عدّة، تشمل المستوى الصوتي والصرفي والمعجمي والنحوي والدلالي والرمزي[٣]. واستجابةً للنقد الموجه إلى البنيوية الشكلية، ظهرت البنيوية التكوينية التي سعى "لوسيان جولدمان" بوساطتها إلى دراسة النصوص الأدبية دراسةً شاملةً من منظور دلالي، وقد اعتمد نقاد البنيوية التكوينية في تحليلهم للنصوص السردية على أبحاث "فلاديمير بروب" في "مورفولوجيا الحكاية" والجهود التي بذلها "غريماس" في دراسة الحكاية . [٤]

ثانياً: الجانب التطبيقي: (التحليل البنيوي للمقامة البغدادية)

١ – المتن الحكائي:

سنسلط الضوء في هذا السياق على الأحداث التي سردها الراوي للمتلقي، إذ تتأسس هذه الأحداث على ثنائية ضديّة رئيسة تتمثل في "المحتال والمحتال عليه". وقد أسهمت هذه الثنائية بشكل كبير في بلورة الأحداث الجوهرية أمام المتلقي، مما يجعل القارئ وكأنه يعيشها في أدق تفاصيلها، كما نلاحظ وجود ثنائيات ضديّة متنوّعة نشأت من الثنائية الرئيسة، وتوزّعت في المقامة وفق إيقاع موسيقي متواتر، مما جذب انتباه القارئ وأثار شغفه لمتابعة أحداثها. تتجلى هذه الثنائيات في المقامة البغدادية تجلياً واضحاً بعد تقسيم أحداثها إلى مقاطع على النحو الآتي:

المقطع الحكائي الأول

تتجلى الثنائية الضديّة الرئيسة في هذا المقطع "المحتال والمحتال عليه" وهو ما استهل به الراوي السرد في بداية

---

[١] بارت، رولان، *مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص*، ترجمة: منذر عياشي، ط١، ٢٠٠٢م، مركز الإنماء الحضاري، سورية، ص١٠-١٤.

[٢] كريزويل، إديث، *عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو*، ترجمة: جابر عصفور، ١٩٩٣م، دار سعاد الصباح، القاهرة، ص٢٩٠-٢٩١.

[٣] فضل، صلاح. *نظرية البنائية في النقد الأدبي*، ص ٣٢٧ – ٣٣١.

[٤] ريكو، بول، *الوجود والزمان والسرد*، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، ١٩٩٩م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص٤٦.

المقامة، إذ يتمثّل الحدث الأول في رغبة الراوي في الحصول على الطعام الذي واجه صعوبة في الحصول عليه، لعدم امتلاكه النقود. يقول: "اشتهيت الإزاد، وأنا ببغداد، وليس معي عقدٌ على نقدٌ، ويسلسل الراوي أحداث المقطع الحكائي الأول ليبرز الوجه الآخر لثنائية "المحتال عليه"، ويكون ذلك رغبةً لحصوله على الطعام. فيقول: "فإذا أنا بسوادي يسوق بالجهد حماره، ويطرق بالعقد إزاره، فقلت: ظفرنا والله بصيد"، إنَّ قول الراوي في المثال السابق يثبت أنَّ المقامة ترتكز على الثنائية الضدية "المحتال والمحتال عليه"، ليكون القرار بالاحتيال على السوادي نقطة انطلاق أحداث جديدة في المقامة.

المقطع الحكائي الثاني:

تبدأ أحداث هذا المقطع عند لقاء الراوي عيسى بن هشام بالسوادي، إذ تُعرض الأحداث للمتلقي بصيغة حوارية بين الراوي والسوادي. يقول: "حياك الله أبا زيد، من أين أقبلت؟ وأين نزلت؟ ومتى وافيت؟ هلمَّ إلى البيت." فيجيب السوادي: "لست أبا زيد، ولكني أبو عبيد"، ولقد أراد عيسى بن هشام عبر هذا اللقاء كسر حاجز الغرابة بينه وبين السوادي، ساعياً لجعله ضحية للاحتيال والخداع. لذا، ينقل الراوي أحداث هذا المقطع وفق ترتيب منطقي، مما يساعد في تفاعل الصور السردية مع طبيعة الحدث الموجه للمتلقي، وبصيغة تشبه تقسيم الأحداث إلى مقاطع، مبرزاً الثنائية الضدية بين (الحيلة والبساطة) أو (الخداع والطيبة)، وتتضح ملامح هذه الثنائية عندما بادر ابن هشام بسؤال السوادي عن حال أبيه، ليأتيه الرد المفاجئ من السوادي بأن والده قد تُوفِّي. يقول: "فكيف حال أبيك، أشابٌ كعهدي، أم شاب بعدي؟" فيجيب السوادي: "قد نبت الربيع على دمنته، وأرجو أن يصيره الله إلى جنته"، في هذه اللحظة، بدأت الأحداث تأخذ منحىً مغايراً يتمثَّل في سعي الراوي إلى ستر جهله بموت والد السوادي عبر صور سردية متتابعة، عندما قال: "ومددت يد البدار إلى الصدار، أريد تمزيقه." معبرًا بذلك عن حزنه المزيف لوفاة والد السوادي، لكن هدفه الحقيقي هو تعزيز علاقته بالسوادي، لتسهيل عملية الخداع.

المقطع الحكائي الثالث:

يواصل الراوي، عيسى بن هشام، في هذا المقطع سرد الأحداث بطريقة منطقية متسلسلة، تأسر انتباه المتلقي وتدفعه لمتابعة مجريات المقامة بشغف. يقول: "فقبض السوادي على خصري يجمعه، وقال: ناشدتك الله لا مزقته، فقلت: هلمَّ إلى البيت نصبْ غذاء أو إلى السوق نشتري شواء، والسوق أقرب وطعامه أطيب"، ثمَّ يعود بمهارته الحاذقة للتظاهر بأنّه سيمزّق قميصه بعد سماع خبر وفاة والد السوادي؛ بغرض استعطافه وجعله فريسة سهلة في شباك خداعه، وهنا تتجلَّى طيبة السوادي الذي حاول ردع ابن هشام عن تمزيق الصدار، وأحسن الظن به عندما دعاه لتناول الطعام، وعليه يرتكز هذا المقطع على الثنائية الضدية بين (اللؤم والطيبة)، التي تتجسد في العبارة: "ولم يعلم أنه وقع"، مما يعكس نجاح حيلة الراوي، ويشعر القارئ بأن الأحداث تتجه نحو المزيد من الإثارة والجاذبية.

المقطع الحكائي الرابع:

يواصل الراوي، عيسى بن هشام، في هذا المقطع سرد ألوان التحايل التي تبدو من منظور الضحية (السوادي)، كأنها تعكس كرم الراوي وحسن تعامله، ويسرد ذلك عبر صور سردية تنطق بما يجري في هذا البناء الحكائي.

يقول: "ثم أتينا شواءً، يتقاطر شواؤه عرقاً، وتتسايل جُذاباتُهُ مرقاً. فقلت: افرز لأبي زيد من هذا الشواء، ثم زن له من تلك الحلواء [...] فانحنى الشواء بساطوره على زبدة تنوره، فجعلها كالكحل سحقاً، وكالطحين دقاً."
تظهر الغاية الظاهرة من سرد الراوي لأحداث هذه المواقف كإكرامٍ لضيفه، لكنّ الغاية المبطنة تكمن في الاحتيال والنصب. من يقرأ العبارة: "ليأكله أبو زيد هنيئاً"، فسيظنُّ أنَّ الراوي عيسى بن هشام، يبذل جهده في سبيل إسعاد أبي زيد وإكرامه، لكن الحقيقة المبطنة تكمن في محاولة الراوي إعطاء محاولة احتياله شرعية أخلاقية عبرَ رغبته المزعومة في الإكرام، وفي ختام هذا المقطع، يوقف الراوي تسلسل السرد بعبارة: "حتى استوفيناه"، ليبدأ بعدها مرحلة جديدة من بناء الأحداث.

المقطع الحكائي الخامس:

تتجلى في هذا المقطع ملامح حيلة الإيقاع بالسوادي، ضحية مكر وخداع الراوي "عيسى بن هشام". ويينتظر المتلقي في هذا البناء الحكائي نتائج حيل الراوي وما إذا كانت ستتحقق أم لا، فعندما بدأ السوادي بالأكل فكَّر عيسى بن هشام بحجة ذكية حتى لا يدفع ثمن الطعام للشواء، وأخبر السوادي أنه ذاهب ليحضر شربة ماء. قال: "ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بالثلج، ليقمع هذه الصَّارة". وبالفعل صدَّقه السوادي، فسارع عيسى بن هشام للاختباء في مكان لا يراه فيه السوادي، فيما يستطيع هو رؤيته، وعندما طال انتظاره، همّ السوادي بالرحيل، فطالبه الشواء بدفع ثمن الأكل. هنا، وقع السوادي ضحية المكر والخداع، بعدما أجبره الشواء على دفع ثمن الطعام. "ثمّ قال الشواء: هاك، ومتى دعوناك، زن يا أخ القُحَّة عشرين، فبدأ السوادي يبكي، ويحُلّ عقده بأسنانه". لقد اعتمد الراوي على الحوار لرسم معالم الإيقاع بالسوادي ضحيّة المكر والخداع في هذا المقطع الحكائي، فالحوار وسيلة تفسيرية تُسهم في إيضاح الأحداث وترتيبها بشكل منطقي، كما وظَّف الراوي في نهاية المقامة مقطوعة شعرية بوصفها وسيلةً تخدم السرد من جهة، وتحثُّ المتلقي على السَّعي لتحصيل رزقه قبل أن يدركه العجز من جهة ثانية، وربما كان توظيفها تعبيراً عن رأيه في مجتمعه المضطرب الذي يعاني من الاستغلال والاحتكار والفساد والجشع والطمع والاحتيال من جهة ثالثة. يقول:

اعـمـل لـرزقِـك كـلَّ آلــة لا تـقـعُـدن بـكـلِّ حـالـة
وانـهـضْ بـكـلِّ عـزيـمــة فالمـرءُ يـعـجـز لا محالـة

هذه الصورة المجسّدة في البيتين الشعريين السابقين تشير إلى انتصار عيسى بن هشام على الإنسان البسيط الساذج، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدلُّ على انهيار بعض القيم المجتمعية في بغداد وغيرها من المدن في تلك الفترة.

٢ – المبنى الحكائي:

أولا: بنية اللغة:

تبرز أهمية اللغة في المقامة البغدادية، فهي من العناصر السردية التي تسهم اسهاماً كبيراً في بناء النصّ وفاعليته، وتمتاز لغة المقامة البغدادية بمبدأ التنازع بين مطلب الحوار ومطالب الجملة الشعرية التي تُعنى غالبًا بالمفاضلة، والإيجاز، والتراكم . وقد اعتمد الهمذاني في مقاماته على براعته اللغوية؛ ليجسد العلاقات الاجتماعية المضطربة في عصره، فاستعمل لغةً جذلةً أنيقة، وقد تتجاوز الجزالة إلى الغرابة، مما زاد

[١] ناصيف، محمد، *محاورات مع النثر العربي*، ١٩٩٨م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ص١٥٣-١٦٩.

من وظيفتها في بناء المعنى وتشكيل البناء السردي في مقامته البغدادية، فاللغة "عنصر من عناصر التشكيل الفني للمقامة، تنبثق من ذاتها وتشكل كيانًا مستقلًا، يشير ثم يرتد إلى ذاته، فالألفاظ في بناء الجملة، والجملة في سياق الفقرة، والفقرة في نموها وتكاملها تظل متحركة نشطة، تخترق وتحاور الموسيقا الداخلية بما توفره من إمكانات الاختلاف والانسجام بإيقاعها المسجّع أو بحدة أضدادها المعنوية التي تسهم في توثب اللغة، وفي انطلاقها بوصفها شخصية ذات كيان مستقل، يؤدي دوره في بنية النص، ويحتفظ بحيويته التي يشير إليها ويستقل بها" . وتَتَوَاشَجُ اللغة في المقامات[١] بين الحدث والشخصية، فتتميز عن العناصر السردية الأخرى؛ إذ تضطلع بمهمة توحيد بنية النص، "فاللغة في المقامة تمثل رؤية جديدة، لأنها تحمل طاقة حركية درامية، لتقف عند حدود إظهار القدرة اللغوية أو البلاغية" . ولقد دعَّم الهمذاني لغته في المقامة البغدادية بعلاقات بنيوية عدَّة تتكئ على تراكيب نحوية وصرفية، وزينها بالمحسنات اللفظية والبديعية، وهذه العلاقات هي:

١ – العلاقات اللفظية:

تتناول بنية العلاقات اللفظية في المقامة البغدادية كيفية تنظيم الكلمات والجمل بطريقة تعكس تفاعل الأفكار والأحداث بشكل منطقي وأدبي، وانطلاقاً من كون المقامة فناً أدبياً يتضمن أسلوباً سردياً حافلاً بالهزل والفكاهة، استعمل فيها علاقات لفظية متنوعة لتعزيز مضمون النص، وجعله أكثر جاذبية وتأثيراً، عبر التركيز على وقعها الموسيقي الداخلي المتشكل من الانسجام اللفظي المسجوع بين اللفظة والعبارة. ومن الأمثلة على ذلك: "فقلت افرز لأبي زيد من هذا الشواء، ثم زن له من تلك الحلواء، واختر له من الأطباق، وانضد عليها أوراق الرقاق، ورش عليه شيئاً من ماء السماق". ولم يغفل الهمذاني دور اللفظة المسجوعة في إيقاعية نصِّه، فقد أتى هذا الإيقاع الموسيقي الذي "تستسيغه أذن المتلقي وتستحبُّه عن طريق السجع، وتوازن الحركات، والتنويع المنتظم للجمل الطويلة" ، مما ساعده في إنتاج قيمةً جماليةً[٢] حققت توضيحاً للصورة السردية، وتوليداً للمعاني الدلالية، وعبرت عن الحالات النفسية للراوي عيسى بن هشام وللسوادي وللشواء، كما في قوله: "فجعل السوادي يبكي، ويحُلّ عقده بأسنانه، ويقول: كم قلت لذاك القريد أنا أبو عبيد".

٢ – بنية التركيب الجملي:

اعتمد الهمذاني في بناء تراكيبه الجملية في مقامته البغدادية على التراكيب الإسنادية، وقد برز ذلك بوضوح في الجمل الفعلية والاسمية. ومن جهة أخرى، كانت هذه التراكيب الجملية متفاوتة في الطول؛ فتارة تكون جملُهُ طويلة البناء، وأخرى تكون قصيرة البناء، تنتظم في كلمتين أو ثلاث، مثل قوله: "والسوق أقرب، وطعامه أطيب، فاستفزته حمية القرم، وعاطفته عاطفة اللقم، وطمع، ولم يعلم أنه وقع"، وقد أسهم هذا التنويع في نص المقامة السردي بين الإطالة والقصر في زيادة عنصري التشويق والإثارة لدى المتلقي.

٣ – بنية التركيب النحوي والصّرفي:

[١] السعافن، إبراهيم، *أصول المقامات*، ١٩٨٧م، دار المناهل، بيروت، ص١١٨.
[٢] المصدر السابق نفسه، ص ١١٨.
[٣] التنوجي، محمد، *المعجم المفضل في الأدب*، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٤٨-١٤٩.

وظَّف الهمذاني في مقامته البغدادية أساليب إنشائية متنوعة، منها أسلوب النفي والاستفهام، أمّا بالنسبة إلى أسلوب الاستفهام فقد تكرَّر بكثرة في نصِّه السردي، مما خلق جواً من الجاذبية والتشويق، إذ أثار اهتمام المتلقي وجعله يتفاعل مع أحداث النص، وأسهم في إبراز المعنى المقصود المتمثل في احتيال عيسى بن هشام على السوادي، والتفنن في طرائق إيقاعه واستغلاله. قال: "من أين أقبلت؟ وأين نزلت؟ ومتى وافيت؟". لقد أحدث تكرار هذه الأسئلة تأثيراً نفسياً في المتلقي، إذ أشعره بأنه مشارك في الحوار. كما جاء في قوله: "أين ثمن ما أكلت؟"، فقال أبو زيد: "أكلته ضيفاً، فلكمه لكمة". ولقد أضاف هذا الأسلوب عنصر الدراما على نصِّ الهمذاني الذي لجأ إلى الاستفهام التعجبي أكثر من مرّة بهدف إثارة المتلقي وتشويقه وتحفيزه. ومن الملاحظ أنَّ السائل هو الراوي، والمسؤول هو السوادي، باستثناء المقطع الأخير من المقامة، فالسائل هو الشواء والمسؤول هو السوادي، مما يشير إلى أنَّ الراوي والسوادي هما محور العملية السردية في المقامة البغدادية.

أمَّا بالنسبة إلى أسلوب النفي فلم يرد ذكره بكثرة في المقامة البغدادية، ومن ذلك قوله: "ليس معي عقد على نقد". وقد وظِّفت هذه العبارة المنفية في مطلع نصه السردي في سبيل تأكيد الراوي عدم امتلاكه نقوداً، ليبرر لنفسه إيقاع السوادي ضحية المكر والخداع. فأحدث توظيف هذا الأسلوب تأثيراً نفسياً تجاه السوادي؛ ذلك الإنسان البسيط.

وعليه، أدَّى التركيب النحوي في المقامة البغدادية للهمذاني دوراً لافتاً في إبراز جمال النص وبلاغته، فالجمل ذات التراكيب المتنوعة، من جمل اسمية وفعلية، أسهمت في توليد إيقاع مرن ومتوازن، يلفت انتباه القارئ ويزيد من جمال النص السردي. ولقد وظَّف الهمذاني التكرار والتوازي في تراكيبه النحوية؛ لخلق إيقاع موسيقي يربط بين أجزاء النص ويزيد من جاذبيته، ويوجّه الانتباه لخدمة الأغراض الأدبية والاجتماعية التي يسعى النَّصُّ إلى تحقيقها. ولا نغفل دور أدوات الربط النحوية في وصل الجمل بوساطة أحرف العطف كالواو والفاء؛ مثال ذلك قوله: "لست بأبي زيد، ولكني أبو عبيد". لقد أسهمت هذه الأدوات في ربط الأفكار بشكل سلس وسهّلت تدفق المعنى. حقاً، إنَّ الإبداع النحوي جزءٌ لا يتجزأ من الكتابة في المقامة، إذ يعكس موهبة الهمذاني في توظيف قواعد اللغة لتحقيق الجمال والتأثير.

ثانياً: بنية الشخصيّة:

إنّ تشكيلَ الشخصية وبناءَها يعدُّ من الموضوعات التي اهتم بها الهمذاني في مقامته البغدادية، إذ ينظر إلى الشخصية بوصفها جزءاً من شبكة علاقات داخل نظام النص الذي يتكون من عناصر عدَّة مرتبطة بعضها ببعض بطريقة تكتسب معنىً معيناً ضمن السياق العام للمقامة، إذ تتضح الشخصية بفعل الحدث الذي تمارسه داخل القصة؛ لذا فإن الشخصية ليست كائناً متلقياً فحسب، بل هي عنصر فاعل يسهم في بناء الدلالات العامة للقصّة. وإنَّ تحديد طبيعة الشخصية وخصائصها يساعد في فهم الوظيفة المنوطة بها داخل النص السردي،

"فالشخصية في التحليل البنيوي علامة تشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد وليس خارجه" .[١]

ولقد استُعملت الشخصيات في المقامة البغدادية بشكل مكثَّف لنقل المعاني والأفكار، وإيصال الرسائل الاجتماعية والثقافية عبر سلوكها وأقوالها، وإنَّ الرمزية والسمات التي تميز الشخصيات يجب أن تكون واضحة ومحددة بهدف دعم الوظيفة التي تؤديها داخل النص، سواء أكانت رمزاً لطبقة اجتماعية، أم تمثيلاً لأفكار معينة، "فعلامات الشخصية لا تتحدد إلا من خلال طبيعة الفعل الذي تقوم به في البناء السردي، فهي في نظر "رولان بارت" عنصر شكلي فحسب يسهم في تكوين بنية النص بوصفها كائناً موجوداً دون النظر إلى الجواهر النفسية" ، كما أنَّ التفاعل بين الشخصيّات في المقامة البغدادية يظهر توازناً أو صراعاً يسهم في بناء التوتر الدرامي، ويولِّد معنىً جديداً يعبِّر عن رؤية الكاتب للعالم أو المجتمع. ولقد منح الهمذاني شخصيتين رئيستين في المقامة البغدادية أدواراً وظيفية تتشابك مع البناء الأدبي والفني، وتخدم غرضه السردي، مشكلة شبكةً دلاليةً تركِّز على القيم الاجتماعية والأخلاقية. ويلاحظ أن التكرار والاختلاف في سمات الشخصيات يسهمان في تفعيل بناء النص، وهذا ما يجعل نوعية الشخصيات عنصراً حاسماً في فهم التركيبة البنيوية للمقامة البغدادية، إذ لا توجد قصة واحدة في العالم من دون شخصيات. وتتوزع شخصيات المقامة البغدادية عند الهمذاني بين شخصيات رئيسة وأخرى ثانوية، أما الشخصيات الرئيسة فتتمثل في عيسى بن هشام الذي يمثل النموذج الراوي المشارك في الأحداث، وهو بطل المقامة، ويتميز بلسانه الفصيح وذكائه ومكره، ويجسد النموذج الواقعي المضاد لعالم المثاليات والقيم الأخلاقية. الشخصية الثانية هي شخصية السوادي الذي أصبح ضحيةً لعيسى بن هشام، إذ وقع في شباك مكره وخداعه، وتمتاز هذه الشخصية بصفات سلبية مثل الغباء والجشع. وهناك شخصيتان ثانويتان أيضاً: شخصية الشواء، الذي يمثل جانب العقاب، إذ تولى معاقبة السوادي وأجبره على دفع ثمن الطعام الذي تناوله، وشخصية السَّقاء –وهو بائع الماء– التي ذُكِرت بصورة عرضية ولم تكن فاعلة في النص السردي، بل كانت الحجة التي استعملها عيسى بن هشام لإجبار السوادي على دفع ثمن الطعام. لقد قدّم الهمذاني شخصياته عبر البناء الداخلي وهو "تتبع الحالات النفسية وتغيرات هذه الحالات بحسب تغيُّر الأوضاع والمواقف الناتجة عن تعاقب الأحداث ومسبباتها" . وتظهر الحالات النفسية في[٣] سلوك الشخصية أو أقوالها، ومن ذلك قول الهمذاني: "فجعل السوادي يبكي، ويحلُّ عقده بأسنانه، ويقول: كم قلت لذلك القريد أنا أبو عبيد." هنا ترتسم شخصية السوادي الذي وقع ضحية خداع الراوي، يائسةً حزينةً، فالحالة النفسية للسوادي تأخذ مساراً مضاداً لحالة الراوي عيسى بن هشام الذي ظفر بوجبة طعام مجانية بعد أن حاك خيوط حيلته المبنية على المكر والخداع. هنا نستطيع القول إنَّ الهمذاني قدَّم شخصيات مقامته البغدادية معتمداً على آلية البناء الداخلي المتضاد، وجاء الحوار الخارجي ليكشف للمتلقي عن أفكار الراوي وقدرته على الدهاء والمكر، ويظهر ذلك في قوله: "وعطفته عاطفة اللُّقم، وطمِع، ولم يعلم بأنَّه وقع"، وهذا ما يؤكِّد أنَّ السوادي قد وقع ضحية في شباك المكر والخداع. إنَّ تحديد وظائف الشخصيات في السرد يوضِّح العلاقات التي تربطها فيما بينها وأحداث النص السردي، "فالوظائف تمثل وحدة قياسية تشبه المتر، يمكن تطبيقها على جميع الحكايات لتحديد العلاقات فيما

[١] بوعزة، محمد، *تحليل النص السردي*، ط١، ٢٠١٠م، دار الأمان، الرباط، ص٣٩.
[٢] بارت، رولان. *مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص*، ص٦٤.
[٣] صحراوي، إبراهيم، *تحليل الخطاب الأدبي*، ١٩٩٩م، دار الآفاق، الجزائر، ص١٠٦.

بينها" . وقد توزعت الوظائف في المقامة البغدادية بين الراوي (البطل)، والسوادي (الضحية)، بينما كانت الوظيفة بين الشواء والسقاء أقل بكثير مما كانت عليه بين الشخصيتين السابقتين. وقد كانت وظيفة الراوي عيسى بن هشام هي: سرد الأحداث وتقديمها للمتلقي وفق نمط بنائي متسلسل، وإنَّ التصاقه الشديد بالشخصيات جعله يبني جسور الثقة مع المتلقي، ويتسيّد المشهد السردي، وساندته في ذلك شخصية السوادي، مما زاد من تفاعل المتلقي مع هاتين الشخصيتين الرئيستين اللتين أسهمتا في تشكيل النص السردي وتطويره بصورة عامة؛ لأنهما المحور الذي تدور حوله عناصر السرد الأخرى، مثل: الأحداث والحبكة والزمن والمكان، ومن جهة أخرى، أدّت الشخصية دوراً رمزياً عبَّر عن قيمٍ اجتماعية وثقافية وأخلاقية، مما أثرى البناء السَّردي للمقامة البغدادية، وجعل نصَّها أكثر مرونةً وواقعيّة.

ثالثاً: بنية الزمان

لا تكتمل حلقة السرد في المقامة البغدادية من دون عنصر الزمن، إذ يُعدُّ البُعد الزماني من العناصر الرئيسة التي تشكل إطارها العام، "ففهم أي عمل أدبي متوقِّف على فهم وجوده في الزمن"[٢]. ويظهر الزمن السردي في المقامة بين زمانين:

الأول: الزمن الخارجي

ويتحدَّد في القرن الرابع الهجري، وهو القرن الذي عاش فيه الكاتب بديع الزمان الهمذاني، وقد شهد هذا القرن صراعات داخلية أدت إلى ضعف السلطة المركزية للخلافة العباسية، مما أثر سلباً في الدولة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

الثاني: الزمن الداخلي

هو المفهوم المعبّر عن الزمن الذي ينبع من داخل الشخصية أو الحدث، ويشمل الذكريات والأحاسيس التي يمرُّ بها الراوي والشخصيات في أثناء السرد، ويسهم هذا الزمن في إضفاء عمق شخصي وتشويق على السرد، مما يساعد في فهم دواخل الشخصيات ومشاعرها بشكل أكثر دقة. ويعتمد الزمن في المقامة البغدادية على سرد الراوي عيسى بن هشام، إذ يقصُّ للقارئ مغامراته مع السُّوادي وفق نظام التعاقب الزمني، ويبدأ زمن القصة من نقطة البداية المتمثلة في قرار الراوي عيسى بن هشام تناول الطعام في مدينة بغداد، وهو لا يملك نقوداً، ثم يستمر الزمن قدماً في المقامة ليتصدَّر عيسى بن هشام والسُّوادي أحداثها، بدءاً من لقائه الأول بالسوادي. يقول: "فإذا أنا بسوادِي يسوق بالجهد حماره"، وصولاً إلى محاولة كسر حاجز الغرابة بينهما والتودد إليه عبرَ سؤاله عن حال أبيه: "فكيف حال أبيك؟ أشابٌ كعهدي أم شابَ بعدي؟" ثمَّ يتباطأ الزمن عبر الوقفة الوصفية، وهي "توقفات معينة يحدثها السارد بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادةً انقطاع السيرورة الزمنية ويعطِّل حركتها" ، لأنَّ إقحام الوصف في سياق الحّكي يسهم في إيقاف تدفق الأحداث الرئيسة، مما يعزِّز من رسم الصورة السردية بدقة للمتلقي. ومثال ذلك قوله: "زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين، فهو أجرى في الحلوق، وأمضى في العُروق، وليكن ليليّ العمر، يوميّ النَّشر، رقيق القشر، كثيف الحشو، لؤلؤيَّ

[١] *فضل، صلاح. نظرية البنائية في النقد الأدبي*، ص٦٣.
[٢] بحراوي، حسن، *بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)*، ٢٠٠٩م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص١٠٨-١٠٩.
[٣] لحميداني، حميد، *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، ٢٠٠٠م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص٧٦.

الدهن، كوكجيَّ اللون، يذوب كالصَّمغ قبل المضغِ". ثم يتجه الراوي عيسى بن هشام إلى تفعيل تقنية تسريع الحكي بعد الوقفة الوصفية بقوله: "اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقاء، يأتيك بشربة ماء"، وقد ساعدت هذه العبارة في تسريع السرد، إذ تعني "تقديم خلاصة فترة زمنية في أسطر قليلة، وذكر أهم ما حدث فيها، كما يمكن تسريع السرد بصورة عامة عبر القفز من فترة زمنية محددة دون الإشارة إلى ما حدث فيها" [١] . هذا ما برز عند عيسى بن هشام، إذ قدّم خلاصة محدّدة تكشف عن حجّته الذكيّة لكيلا يدفع ثمن الطعام، عندما أخبر السُّوادي أنه ذاهب ليحضر له شربة ماء، وهي حجته للتهرب من دفع قيمة الطعام. ثم يعود الراوي ليستعمل تقنية المشهد كاشفًا للمتلقي ضرورة السعي في سبيل تحصيل الرزق بكل ما نملك من عزيمة وقوة، قبل أن يدركنا الضعف والعجز، فينشد قائلاً:

"اعمل لرزقك كلَّ آله لا تقعدنّ بكلّ حالة
وانهض بكلِّ عزيمةٍ فالمرءُ يعجِزُ لا محالة"

لقد كان للزمن السردي فاعلية واضحة في المقامة البغدادية، تمثّلت في قدرته على تنويع إيقاع السرد وإضفاء الإثارة على الأحداث وتعزيز الرسائل، مما يجعل هذا الزمن أداة حيوية في إبراز الخصائص الفنية والأدبية للمقامة البغدادية.

رابعاً: بنية المكان (أنواع الأماكن ودلالتها في المقامة البغدادية):

لم تغفل الدراسات البنيوية أهمية المكان ودوره الفاعل في النصوص السردية؛ إذ يسهم بشكل كبير في تشكيل النص وفهمه، عبر تحديد إطار الأحداث، مما يساعد القارئ في تصور البيئة التي تدور فيها القصة، كما يحمل المكان رموزاً ودلالات تعكس طابع الشخصيات وموضوعات النص. لذلك، فدراسته في النصوص السردية تمكن الباحث من الوصول إلى فهم أعمق للبنية والمعاني الخفية وراء السرد. ويولي البنيويون اهتماماً كبيراً لبنية المكان والآليات التي أدت إلى إبرازها، وتتنوع الأماكن في المقامة البغدادية بين الأماكن المفتوحة والمغلقة، وتختلف دلالاتها ورمزياتها، إذ تعكس الأبعاد الاجتماعية والنفسية والروحية، وتساعد في بناء الصورة السردية والمعنوية لكل من المكان والشخصيات، فهي انعكاس واقعي معبر. فنرى الراوي عيسى بن هشام يستعمل في مقامته لفظة "بغداد" وإليها ينسبُ مقامته (المقامة البغدادية)، فبغداد تمثل الحياة الشعبية والثقافية والتاريخية، مما يدل على الأصالة والحضارة. ويسعى الراوي بعد ذلك إلى تحديد المكان بصورة أدق، فتظهر منطقة "الكرخ" التي تمثل الحياة البسيطة والواقعية. قد جاء ذكر هذين المكانين، "بغداد والكرخ"، انعكاساً عن سعة خيال الراوي الذي ساعده في استغلال أفكار حيلته ليموّه على ضحيته السُّوادي، مما عكس سوء الحالة الاقتصادية في بغداد وانتشار الفساد والفقر في المجتمع آنذاك، هذا ما فاقم ظهور الكدية والسرقة والاحتيال في تلك الفترة من العصر العباسي. أما بالنسبة لتوظيفه كلمة (البيت) بوصفه مكاناً، فهو رمزٌ للأمان والخصوصية والهوية الشخصية، ويعبّر عن الدفءِ والاستقرار النفسي، ويعد مكاناً للتصالح مع الذات، لكن سرعان ما يستعيض عنه الراوي بمكان آخر وهو (السوق) الذي يعدُّ مكاناً شعبياً يبرز فيه التفاعل الاجتماعي

[١] المانعي، علي، *القصة القصيرة المعاصرة في الخليج العربي*، ٢٠١٠م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ص٥٤.

والاقتصادي، ويكثر فيه الاحتيال والفساد والمشاكل، وقد وجد الراوي في هذا المكان بيئةً خصبةً لنسج خيوط خديعته، فأوقع السُّوادي ضحيةً في شباك احتياله. وإذا ما نظرنا إلى كلمتي "دمنته" و"جنته"، نجدهما مكانين متناقضين؛ أحدهما مغلق وضيق، وهو دمنته، وقصد بها القبر، وهو أصغر وحدة بنائية مكانية في النص السردي، أمّا الآخر فمفتوح ومتسع بلا حدود، وهو الجنة التي تمثِّلُ أكبر وحدة بنائية مكانية في النص السردي، والمكانان السابقان يعبران عن رجاء الإنسان من الله تعالى أن يسيرهُ إلى جنته بعد أن يموت ويرقد في دمنته. لقد شكلت بنية المكان دوراً بارزاً في تطور الأحداث وتحديد الجو العام للقصة، عبر تفاعلها مع عناصر السرد الأخرى، مما يساعد القارئ في تصور البيئة التي تجري فيها الأحداث، فقد يكون المكان سبباً في حدوث الأحداث أو تصعيدها، وهذا ما لمسناه عندما اختار الراوي عيسى بن هشام السوق مكاناً لأحداث قصَّته، إذ يكثر فيه الجشع والاحتيال والفساد. وعليه، يمكن القول إنَّ المكان في النص السردي ليس خلفية للأحداث فحسب، بل هو عنصر حي وفاعل يسهم في بناء الجو العام للنص، ويعزز رسالة الراوي وفكرته.

الاستنتاجات والتوصيات:

في ختام هذا البحث الذي تناول "المقامة البغدادية" في ضوء البنيوية، يمكننا أن نستخلص مجموعة من النتائج التي تعكس عمق النص وتنوعه، وهي:

١- لقد أظهرت دراسة المتن الحكائي كيف تمكنت المقامة من استيعاب سرديات عدّة، تعكس المضمون الفكاهي والاجتماعي، مما يعكس بوضوح نمط الحياة اليومية لشخصيات المقامة.

٢- إنَّ تركيز البحث على المبادئ البنيوية أظهر أهمية اللغة بوصفها عنصراً مركزياً في بناء السرد، فقد أعطى التركيب اللغوي النص عمقًا دلاليًا يتجاوز سطح الأحداث، وكشف تحليل التركيب الجملي عن كيفية تداخل العناصر المختلفة لخلق جو من التشويق والمتعة الأدبية.

٣- وجد البحث أنَّ الشخصيات الرئيسة والثانوية تتكامل لتقديم صورة متعددة الأبعاد عن الواقع الاجتماعي، فالشخصيات الرئيسة حملت الأبعاد الأساسية، والشخصيات الثانوية أضافت المزيد من العمق للسرد.

٤- لقد أدّى الزمن دوراً أساسياً في تشكيل السرد، فتفاعل الزمن مع البناء الدرامي للأحداث ساعد في إبراز تطور الشخصيات وتفاعلها مع محيطها.

٥- لقد أظهر البحث كيف أسهمت دلالات الأماكن في إضفاء طابع خاص على الأحداث، فكان المكان عنصراً حيوياً وجزءاً لا يتجزّأ من السيرورة السردية.

في المجمل يقدم البحث رؤية شاملة لفهم المقامة البغدادية، ويبرز أهمية الاستمرار في دراسة النصوص الأدبية من منظور بنيوي؛ لتعزيز الفهم النقدي ولتسليط الضوء على الجوانب المخفية التي تشكِّل عمق الأدب العربي.

المصادر والمراجع

١- النحوي، عدنان، *الأسلوب والأسلوبيّة*، ط١، ١٩٩٩م، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض.

٢- السعافين، إبراهيم، *أصول المقامات*، ١٩٨٧م، دار المناهل، بيروت.

٣- بحراوي، حسن، *بنية الشكل الروائي*، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ٢٠٠٩م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

٤- لحميداني، حميد، *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، ٢٠٠٠م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

٥- صحراوي، إبراهيم، *تحليل الخطاب الأدبي*، ١٩٩٩م، دار الآفاق، الجزائر.

٦- بوعزة، محمد، *تحليل النص السردي*، ط١، ٢٠١٠م، دار الأمان، الرباط.

٧- كريزويل، إيديس، *عصر البنيوية، من ليفي شتراوس إلى فوجو*، ترجمة جابر عصفور، ١٩٩٣م، دار سعاد الصباح، القاهرة.

٨- العيد، يمنى، *في معرفة النص*، ط١، ١٩٨٥م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٩- المانعي، علي، *القصة القصيرة المعاصرة في الخليج العربي*، ٢٠١٠م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

١٠- ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ط١، ١٩٩٧م، ج١٤، دار سعد، بيروت.

١١- ناصيف، مصطفى، *محاورات مع النثر العربي*، ١٩٩٨م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

١٢- بارت، رولان، *مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص*، ط١، ٢٠٠٢م، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا.

١٣- الحموي، ياقوت، *معجم الأدباء– إرشاد القريب إلى معرفة الأديب*، ط١، ١٩٩٣م، ج١، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٤- التنوجي، محمد، *المعجم المفضل في الأدب*، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥- أحمد بن الحسين، أبو الفضل، *مقامات بديع الزمان الهمذاني*، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، قدم لها وشرح غوامضها الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦- فضل، صلاح، *نظرية البنائية في النقد الأدبي*، ط١، ١٩٩٨م، دار الشروق، القاهرة.

١٧- ريكور، بول، *الوجود والزمان والسرد*، ط١، ١٩٩٩م، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.